

اجتهادات بكم تباع نفسك؟

قلت إلى حد كبير مأساة الشباب الموهوبين الذين يضطرون إلى إعطاء أعمالهم التي لا يجدون فرصة لظهورها إلى آخرين يضعون عليها

أسماءهم في مقابل مبلغ من المال. فتحت ثورة الاتصالات أبواباً كانت مغلقة أمام هؤلاء لتقديم أعمالهم والتعريف بأنفسهم عبر عوالم «الإنترنت» اللانهائية. وكثيراً ما يجدون الفرصة التي يبحثون عنها ما لم تكن قسوة الفقر مانعة دون الصبر لبعض الوقت.

وليس تنازل شخص عن إبداعه تحت ضغط الحاجة والفقر إلا صورة من صور بيع الإنسان نفسه أو روحه لغيره. وما أكثرها هذه الصور في العلاقة مع السلطات المختلفة سواء سلطة الدولة، أو سلطة المال وحيثانه، أو سلطة رجل الدين الذي يستغل محدودية عقل وتفكير تابعيه، أو سلطة القيادة في أحزاب وجماعات حديدية مغلقة ومنغلقة. كما قد يبيع الإنسان روحه وهو مستلب لآخر في بعض العلاقات الإنسانية. وكثيرة هي الأعمال الفنية التي عبرت عن هذا المعنى، وحمل بعضها رسالة تُنبه إلى خطر بيع الإنسان نفسه مهما كان المقابل الذي يحصل عليه، سواء سلطة أو نفوذاً أو مالاً أو شهرة. ومن بينها أعمال درامية مصرية عدة لم يصل

أى منها إلى مستوى الفيلم البريطاني الرائع «الطريق المختصر إلى السعادة» الذى يستمد تميزه الخاص من طريقة تجسيد التفاعل الذى يحدث فى حالة بيع الإنسان نفسه، من خلال حوار بسيط وعميق فى أن بين مؤلفين اثنين اشتد عليهما الإحباط لعدم وجود فرصة يتحققان من خلالها، وإمراة تعرض على كل منهما اتفاقاً بأن يبيع لها روحه فيصبح خاضعاً لها مقابل أن تتيح له نشر مؤلفاته على أوسع نطاق، وحصوله على الأموال التى يتطلع إليها والشهرة التى يحلم بها.

وإذ يقبل أحدهما أن يبيع نفسه لها، ويرفض الآخر مفضلاً أن يبقى حراً مهما كانت معاناته، ينتقل الفيلم إلى ما شعر به الأول بعد أن حصل على كل ما كان يحلم به وأكثر، حيث آفاق على حقيقة استعباده بعد أن فقد نفسه. وعندئذ يلجأ من باع نفسه إلى زميله الذى رفض ليساعده فى التخلص من الاتفاق الذى أدرك مدى فداحته. وعندئذ يشير عليه زميله بأن يخضع لمحكمة «متخيلة بالطبع» يترافع فيها عنه أمام القاضى وهيئة المحلفين.

وينتهى المترافع، بعد تأكيد أن ضعف الإنسان هو الذى يدفعه إلى بيع نفسه وليست قوة أية سلطة، باستعادة نصيحة كان أبوه قد أسداها إليه وهى: (تذكر يابنى أنه لا يوجد طريق مختصر للسعادة، وإذا أردت (اختصاره ستجد نفسك فى طريق التعاسة).

